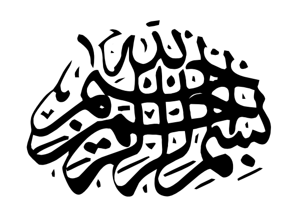
فوائِد ومسائِل منهجيَّة عن

حديث الافْتِـــــــــراقْ

مستلّ من شروح فضيلة الشّيخ

أبي عبدالرَّحمن عبدالله بن عمر بن مرعي بن بريك العدني

-حفظه الله تعالى-



٧- قال الإمام ابن أبي عاصم - رحمه الله - كما في السنة (ص٤٨) برقم (٦٣): حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا عباد بن يوسف حدثني صفوان بن عمرو عن راشد بن سعداً عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة واحدة في الجنة وسبعين في النار وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة والذي نفسي بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة فواحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار) قيل يا رسول الله من هم؟ قال (هم الجماعة). وإسناده جيد قاله الشيخ الألباني في تخريج السنة رقم (٦٣) والصحيحة (١٤٩٢).

هذا الحديث هو -كذلك- من الأحاديث العَظِيمة ،ومن الأصُول التي كان يهْتمّ بها علماء أهل السُنَّة لِماَ فِيها من بيان أصْل الافْتِرَاقْ

،ويُسَمَّى هذا الحديث بـ« حديث الافْتِرَاقْ » لِما فيه من بيان افْتِرَاقْ الأُمَم ،وأنَّ هذا ممّا قضاهُ اللّه –جلَّ وعلا- كوْناً في هذه الأُمَمْ جَمِيعاً .

فقد أخبرَ النبيّ ﷺ :« أنَّ اليَهود افْتَرَقَتْ على إحدى وسبعين فِرْقَة » وأنَّ واحدة منها فقط التي في الجنَّة ! وكذلك « النَّصارى » ،وكذلك هذه الأمَّة ؛وأنَّ هذه الأمَّة أكثَر الأمَمْ افْتِرَاقاً ،فالافْتِراقُ فيها إلى ثلاثٍ وسبعين فِرْقَة ! فالنَّاجون ثلاثُ فِرَقْ من هذه الأمم الثَّلاثْ كما جاء في حديث عبداللّه بن مسعود

[1] ،كذلك عند ابن أبي عاصِم بإسنادٍ حسَنْ ؛أنَّ الأمَّة ستَفْتَرِقْ إلى فِرَقْ لا يَنجو منها إلاَّ ثَلاثُ فِرَقْ .

وفي هذا الحديث مجموعة من المسائِلْ ،من أهمِّهَا :

أوَّلاً :التَّفْريق بيْن « أمَّة الإجابَة » و« أمَّة الدَّعْوَة » ؛فإنَّ الأمَّة (أمَّة النبي ﷺ) أمَّتان :

1- أمَّة الدَّعوة ؛وهم كلّ من سَمِعَ بدعوةِ النبي ﷺ ؛فهم مدعوون ،المسلم والكافر ،البرّ والفاجر ،القريب والبعيد ،ممَّن سَمِعَ أو أمكَنَ سَماع دعوة النبيّ –عليه الصَّلاة والسَّلام- يُسَمَّى « أمَّة دعوة » .

2- ومن استجابَ هذه الدَّعوة سُمِّيَ من أهل « أمَّة الإجابَة » ؛فأمَّة

1- يعني حديث :« خطَّ لنا رسول اللّه ﷺ خطاً ...» الحديث ،وهو عند أحمد في [مسنده (برقم : 4142)] ،وغيره .

الإجابَة أخصّ من أمَّة الدَّعوة ،وهم من استجابَ لدعوةِ النبيّ –عليه الصَّلاة والسَّلام- .

وفي هذا الحديث من المسائِل :

أنَّ الافْتِراقْ لا بدّ منه ! لا يمكن رفْعُه في الأرْضْ ،لا يمكن رفْعه ،فذلك أمرٌ كوني قدَّرَهُ اللّه –جلَّ وعلا- ،ومع ذلك فإنَّ اللّه –جلَّ وعلا- يَكرَهُهُ ولا يُحبُّه ،ويُبْغِضُه ،ونهى النَّاس عنه ،كما قال اللّه –عز وجلّ- ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾[آل عمران: 103] **،وقال اللّه –عز وجلّ-** ﴿ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ ﴾[الروم: 31-32] **،وهكذا قال اللّه –عز وجلّ-** ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾[الأنعام: 153] **،ونحوها من الآيات التي فيها التَّحذير من التفرُّقْ !**

ومع ذلك قال اللّه –عز وجلّ- ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ ﴾ [هود: 118-119] **،ومعنى ذلك أنَّ الافْتِراقْ أمرٌ لا بدّ منه ،سيكون ! كما أنَّ الكفْر يَكرهُهُ اللّه –عز وجلّ- ولا يُحبّه ،ويُبْغِضُه ،ومع ذلك فإنَّهُ سيَقَعْ في الأرْضْ ،وقدَّرَ اللّه وُقوعهُ محنةً وابْتلاءً ،وهكذا –كذلك- الافْتِراقْ !**

فإنَّ الافْتِراقْ أمرٌ لا بدّ من وُقوعِه كما في هذا الحديث وفي الآيات الواردة في هذا المعنى .

وعلى هذا ،فقول من يقُول :« أنَّهُ لا يُمكن أن يقَعْ الافْتِراقْ ،وأنَّ الافْتِراقْ يَجبْ أن يُرفَعْ من الأرض » فهو في الحقيقَة مخالِفْ لـ« إرادة

اللّه الكونِيَّة »؛ فإنَّ الافْتِراقْ أمرٌ لا بدّ ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص: 56] .

ومع ذلك ،فنحن مأمورون بالاجْتهاد بالاعْتصام ،لكنّ الاعْتصام يكون بالحقّ ،وبه يُعلَم ما أمرَ اللّه –عز وجلّ- بهمن الاعْتصام بالحقّ ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ [آل عمران: 103] ،**الاعتِصام بـ« حبل اللّه » ؛أي بـ« صراط اللّه »** ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ [الأنعام: 153] ،**فإنَّ الاجْتماعْ الحقّ هو الذي يكون على الكتاب وعلى السُنَّة ؛على الهدى الذي أنزلهُ اللّه –عز وجلّ- .**

فإذا خالف من خالف فلا يُبالى بمُخالفَتِه ،لا يقُولَنَّ قائِل :« الخلاف شرّ » وهي كلمة حقّ أُريدَ بها باطل ! « الخلاف شرّ » ومعنى ذلك :أن يحصُلْ انْدِماجْ بين أهل الحقّ وأهل الباطل ،ويحصُلْ تمييع وتضييع للحقّ مع أهل الباطل ،فهذا أمرٌ مرفوضْ ! ترُدُّهُ أدلّة الكتاب والسُنَّة ،ولهذا قال اللّه –عز وجلّ- آمِراً نبيَّهُ –عليه الصّلاة والسّلام- أن يقُول ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ٦ ﴾ [الكافرون: 1-6] ،**لو كان الأمر فيهِ وسَطِيَّة ،وفيه –كذلك- مسائِل مُشْتَرَكة لكان ذلك للنبيّ –عليه الصّلاة والسّلام- وهو أرْحم النّاس بالأمّة ،وهو أحْرَصْ –كذلك- على الاجْتِماع والألْفة ،ولكنَّ المسألة ليسَتْ مسْألَة عواطِفْ ،ولا مسألة –كذلك- مُجاملات ،وإنَّما المسألة مسألة حقّ أو باطل ،مسألة لزوم للصِّراطْ المستقيم .**

ولهذا جاءَ في [البخاري] و[مسلم] :« أنَّ النبيّ ﷺ فرَّقَ بيْن النَّاس » كما في حديث جابرْ ،قال :« محمَّدٌ فرَّقَ بيْن النَّاس » [1] كيفَ فرَّقَ ؟ فرَقَ بيْن أهل الحقّ وأهل الباطل ،لأنَّهُ لا بدّ من ذلك ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء: 81] .

وبهذا يُعلَم هذا المعنى الذي لم يَفْهمهُ كثيرٌ من النَّاس خصوصاً في هذا الزَّمان .

والمسألة الثَّالثة :فيه –كذلك- أنَّ هذه الأمَّة « أمَّة الإجابة » ستَفْتَرقْ ،وأنَّ ثمرَة هذا الافْتِراقْ أن لا ينجو منها إلاَّ واحدة ! وأنَّ اثْنتان وسبعون منها ستَدْخُلْ النَّار ،وهذا الدُّخول ليسَ هو على وجه الجزْم ،وإنَّما مثل ما نقول :« السَّارقْ في النَّار » و« الزَّانِي في النَّار » ،فالحكم على الفِعْل لا على العَيْن ؛فإن زيْدٌ من النَّاس سرَقْ فنقُول هو تحتَ المشيئَة ،لأنَّه من المسلمين ،فهو تحت المشيئَة ،و-كذلك- إن كان زيْدٌ من النَّاس من أهل الفِرَقْ المخْتَلِفَة المخالِفَة للصِّراط المستقيم ،فهو –كذلك- تحتَ المشيئَة ،نخافُ عليْه لإساءتِه ولا نجْزمْ عليْه بنار ،لكنْ نَجْزمْ أنَّ من خالفَ الصِّراط المستقيم والجماعة أنَّهُ من أهل النَّار ،نجزمْ ! لكن زيْد من النَّاس كان منهم لا نستطيع نَجْزم عليه لأنَّهُ تحت المشيئَة ،لأنَّ هذه الأمَّة « أمَّة الإجابَة » ؛وأمَّة الإجابَة معاصِيها تحتَ المشيئَة .

وأمَّا قول من يقُول أنَّ المراد بهاتيْن الثِّنتَيْن وسبعين فرقة التي في النَّار أنَّها « المرتدَّة » و« الكفَّار » فهذا ليسَ بصحيح ! لأنَّهُ قال :« وستفترقْ أمَّتِي إلى ثلاثٍ وسبعين فِرْقة كلُّها في النَّار إلاَّ واحدة »

1- رواه البخاري في [صحيحه (برقم : 7281)] عن جابر بن عبدالله –رضي الله عنه- .

وهذا معناه أنَّ هذه الأمَّة ليسَتْ « أمَّة الدَّعوة » بل « أمَّة الإجابة » التي تَسْتَجيب للنبي –عليه الصَّلاة والسَّلام- ،وهذا هو القول الحقّ الذي قالهُ أئِمَّة السُنَّة والجماعة من قديم الزَّمان إلى زمانِنا هذا .

وهكذا –كذلك- من مسائِل هذا الحديث ؛فيه أنَّ هذه « الفِرْقَة النَّاجيَة » من أعظم صِفاتِها أنَّها هي « الجماعة » ؛والجماعة كما قال ابن مسعود :« هم من لَزِمَ الحقّ أو كان على الحقّ ولو كنتَ وحْدك » [1] ! فلا يَلْزَم أن يكونوا كثْرَة ،بل هم بنصّ الحديث قِلَّة ،ولا يَلْزَمْ –كذلك- أن يكونوا –كذلك- مجموعة ،بل لو كان واحِداً في موضِعْ من المواضِعْ ،وكان على الحقّ فإنَّهُ هو « الجماعة » ،وقد جاءَ عن السَّلف في ذلك شيءٌ كثيرْ ،وقد كان جماعة يقُولون :« أبو حمزة السُكَّري جماعة » [2] ويريدون بذلك أنَّهُ كان على الحقّ .

وبه يُعلَم معنى « الفِرْقَة النَّاجِيَة » أنَّها تنجو بما تمسَّكت به من الحقّ ؛وهو الهدى الذي أنزلهُ اللّه على نبيِّه –عليْه الصَّلاة والسَّلام- .

والخلاصَة ؛أنَّ هذا الحديث أصْلٌ عظيم ،ولهذا سُمِّيَ بـ« حديث الافْتِراقْ » ،ولأجل هذا كان ممَّا يَنبَغِي أن يُعتنى به ويُحفَظْ ،فذُكِرَ في هذا المَوْضِعْ .

1- رواه اللاَّلكائِي في [شرح أصول اعتِقاد أهل السُنَّة والجماعة (برقم : 160)] .
2- وممَّن قاله عنه عبدالله بن المبارك .